الفارس و الغراب

الغراب

إدغار آلان بو

ترجمة: رافاييل لايساندر

THE RAVEN

By

Edgar Allan Poe

Illustrated by

Gustave Doré

الغراب

إدغار آلان بو

ترجمة:

رافاييل لايساندر

رسومات:

غوستاف دور

The Raven is in the public domain. All original additions, including cover design, introduction and translation, are copyright © 2023 by Raphael Lysander and may not be reproduced in any form without written permission from the publisher or author, except as permitted by U.S. copyright law.

Book Cover by Raphael Lysander

Illustrations by Gustave Dior

First edition 2023

يتوفر كتاب The Raven في المجال العام. جميع الإضافات الأصلية، بما في ذلك المقدمة والترجمة والغلاف، محفوظة حقوق الطبع والنشر © ٢٠٢٣ بواسطة رافاييل لايساندر ولا يجوز إعادة إنتاجها بأي شكل دون إذن كتابي من الناشر أو المؤلف، باستثناء ما يسمح به قانون حقوق الطبع والنشر بالولايات المتحدة .

غلاف الكتاب وتنضيد الكتاب من تصميم: رافاييل لايساندر

الرسوم التوضيحية بواسطة: غوستاف دور

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

مقدمة المترجم

الشروحات والتعليقات على قصيدة الغراب لإدغار آلان بو ليست قليلة، ولا نادرة. أحببت أن أورد مع ترجمة القصيدة مقدمة جون دانيال التي نشرت مع القصيدة سابقًا لأنها تجيب بشكل مختصر ومباشر عن أهم سؤال حول «الغراب». ذات السؤال نفسه الذي يطرحه القارئ العربي عند قراءة أي ترجمة للقصيدة- ما الهدف؟

يجيب دانيال أن «الغراب» ليست قصيدة تُطلب للمغزى ولكن للحس الجمالي فيها. للنغمة «الغامضة والخارقة للطبيعة التي تزحف بها نحو الأذن" و "النظم الشعري الجميل بشكل لا يوصف والصعب بشكل رائع". ولا يرى بو نفسه أن من واجب الشعر البحث عن «الحقيقة»، ولكن هدفه الأسمى رسم الجمال بشكل موسيقي. ويكتب في مقالته «المبادئ الشعرية» آواخر حياته عام ١٨٥٠:

«أود أن أعرّف، باختصار، الشعر على أنه الخلق الإيقاعي للجمال. الحكم الوحيد عليه هو الذوق. مع العقل أو الضمير، له علاقات عرضية فقط. ما لم يكن بالمصادفة، فإنه لا يهتم على الإطلاق بالواجب أو بالحقيقة.»

لكن الترجمات العربية حتى الآن أهملت هذا الجانب، وكانت مجرد ترجمة كلمة بكلمة. قد يكون ذلك مفيدًا حين نعرب مقالاً علميًا يهمنا فحواه والمراد منه، وليس أسلوب الكاتب وتقنيته. لكن مع قصيدة لا تحتوي على مغزى مثل «الغراب»، يبقى القارئ مع لا شيء من دون الجماليات الشعرية المهملة في الترجمة.

أتذكر أول مرة قرأت فيها القصيدة صُدمت بأسلوبها المميز وموسيقيتها الساحرة لدرجة أنني حفظت المقطع الأول مباشرة، ثم لم أستغرق طويلاً حتى حفظتها كلها وصرت أغنيها وأرددها بصوت عالٍ في كل حال- أثناء الاسترخاء في

الطبيعة، والطبخ، وحتى خلال الدراسة والعمل، حتى صار إيقاعها الموسيقي نموذجًا منفردًا في ذهني أستطيع تركيب أي جمل عليه. في تلك المرحلة قررت ترجمة القصيدة للعربية، مستخدمًا نفس النموذج الذهني لا أوزانًا ولا تقطيعات أو غيره. واجهتُ مع ذلك صعوبة في استخدام كلمات تلائم الوزن وتكون أمينة للنص الأصلي مع ذلك، لكن العربية بحر واسع. هذا الأمر الأخير يبرر استخدام بعض العبارات الغير معتادة أو الدراجة. كان من الأحب على قلبي استخدام كلمات أوضح ولكن للضرورة أحكام.

وأود أن أعتذر هنا عن معضلة لم أجد لها حلاً، ألا وهي الكلمة التي ينطقها الغراب: Nevermore. من المفترض أن ينطق الغراب بكلمة واحد فقط، ومعناها حرفيًا: "لا على الإطلاق مستقبلاً". لكن لا يوجد في العربية كلمات نفي بذاتها، ونحتاج لأحرف النفي. حتى كلمات مثل البتة وقط تحتاج لنفي قبلها. عدا أن استخدامها لوحدها لن يوافق معنى ما سبقها. من هنا لم أجد مفرًا من استخدام حرف وكلمة. واستخدمتُ "أبدًا" لأنها تفيد استغراق الزمان المستقبل، فهي أدق لمعنى الأصل.

في النهاية يقول 'بو في ذات المقالة:

"تستحق القصيدة اسمها فقط بقدر ما تسمو بالروح عبر الإثارة. تكمن قيمة القصيدة في نسبة هذه الإثارة التي تسمو بالمرء."

وأتمنى أنني قد وفقت في نقل شيء من جمال هذه القصيدة التي أثارتني يوم قرأتها أول مرة. وبهذه العاطفة أنقلها لك عزيزي القارئ.

رافاييل لايساندر

تقديم

ألقى السيد إدغار آلان بو الليلة الماضية محاضرة حول «المبدأ الشعري» مرةً أخرى، واختتم محاضرته، كما من قبل، بقصيدته الشهيرة اليوم الغراب. نظرًا لأن انتباه الكثيرين في هذه المدينة يوجه حاليًا نحو هذا الأداء الفريد، وبما أن قصائد السيد بو، التي يمكن الحصول عليها من المكتبات فقط، قد نفدت طبعاتها منذ فترة طويلة، نوفر لقرائنا اليوم، بالنسخة المنشورة الوحيدة الصحيحة- وهو أمكننا القيام به من خلال كرم السيد بو نفسه.

اكتسبت قصيدة "الغراب" المديح في عالم الأدب بأكمله، باعتبارها أول قصيدة تُألف في القارة الأمريكية. لا يوجد في الواقع سوى واحدة أخرى هي «النحلة المتواضعة» لرالف والدو إيمرسون، والتي يمكن تصنيفها في نفس المستوى. هذه الأخيرة تتفوق كعمل بناء وتصميم، بينما تتفوق الأولى على التالية كعمل فني خالص. تربطهما نفس العلاقة التي تربط لوحة فنية بقطعة فسيفساء رائعة. لكن بينما تحتفظ هذه القصيدة بمكانة عالية جدًا بين جميع الأشخاص ذوي الذوق المعاصر والثقافي العام، يمكننا أن نتصور غضب الكثيرين الذين سيقرؤونها لأول مرة في أعمدة هذه الصحيفة. أولئك الذين تشكل ذوقهم في مدرسة شعراء مثل بوب ودريدين، وكان تعرفهم على الشعر عبر ميلتون، وانتهوا مع هاموند وكوبر -مع القليل من مور وبايرون- لن يكونوا قادرين على الاستمتاع لأول طرفة بقصيدة مشوبة بعمق بأصباغ القرن التاسع عشر. ستؤثر القصيدة فيهم بطريقة لن يتمكنوا من تفسيرها -لكن ذلك سيثير حنقهم- ولا جدوى من النقد والتفسير. لا يمكن للنقد أن يدفع الناس للتعلق. على الرغم من مناشداتنا، فإنهم سيتحدثون عن قواعد كيتس وجنون شيلي، حتى ينظروا عميقاً في ادعاءاتهم لينسوا أو يخجلوا من التحدث هكذا. مثل هؤلاء سيعلنون بغضب أن "الغراب"

هراء سطحي. فيما ستشعر فئة أخرى بالاشمئزاز من القصيدة، لأنهم لا يرون أي هدف، ولا رمزية، ولا "معنى"، كما يعبرون عنه، في القصيدة. هؤلاء الناس -ويشكلون غالبية عرقنا العملي- يمتلكون نظرية خاطئة. يرون أن كل قصيدة وشاعر يجب أن يمتلكا فكرة أخلاقية ما، والتي من "واجبه" نشرها. هذه النظرية خاطئة. إن بناء النظريات، والمبادئ، والأديان، وما إلى ذلك، هو عمل ملكة الجدل، وليس ملكة الشعر. إن عمل الشعر هو خدمة حس الجمال في عقول البشر. -ذلك المغزى عنصر بسيط في طبيعتنا- بسيط، وليس مركب؛ وبالتالي يمكن القول بأريحية أن الفن الذي يرعى هذا الهدف لديه هدف سامي في رعايته. تقوم قصيدة "الغراب" بهذا بدرجة مرموقة. لا يوجد فيها أي رمز أو هدف -أو حتى هدف بسيط للغاية- ولكنها "قبس من الجمال"، وستكون "سعادةً أبدية". لذلك فقط، ولا لأي سبب آخر.

في المقطع الأخير، هنالك صورة للقنوط واليأس القابع، والتي تلقي بريقًا من المعنى والرمزية على القصيدة بأكملها -مما يجعلها كلها تجسيدًا لتلك العاطفة- ولكن من الواضح أن هذا المقطع هو فكرة متأخرة وغير مرتبط بالقصيدة الأصلية. "الغراب" بحد ذاتها مجرد سرد لأحداث بسيطة. طائر، كان قد تعلم الكلام من قبل سيد سابق، يضيع في ليلة عاصفة. ينجذب إلى ضوء نافذة طالب، يطير باتجاهها وينقر عليها. ثم يتخيل الطالب زائرًا عند الباب، ويفتحه، والكلمة التي ينطقها الطائر مصادفة توحي للطالب بذكريات وأوهام مرتبطة بوضعه، والحبيبة أو الزوجة المفقودة. هذه هي القصيدة. -المقطع الأخير هو فكرة متأخرة. إن قيمة الغراب ليست "أخلاقية"، وسحرها ليس في بناء القصة. تتمثل مزاياها العظيمة والرائعة في الصور والألوان الغريبة والجميلة والرائعة التي يوشح بها الموضوع البسيط- النغمة الغامضة والخارقة للطبيعة التي تزحف بها نحو الأذن، الوضوح الاستثنائي للوحة، والإغراء القوي، ولكن الغير محدد، المحترف طوال القصيدة وفق معايير المثالية والروعة. يضاف إلى ذلك نظم شعري جميل بشكل لا يوصف وصعب بشكل رائع- متعرج وملفوف مثل متاهات بعض الافتتاحيات المعقدة لبيتهوفن. من لديه إدراك قوي للحن، هناك موسيقى تطارد الأذن بعد فترة طويلة من قراءتها. هذه مزايا عظيمة، وقصيدة الغراب جوهرة فنية. موسومة بخاتم العبقرية الحقيقية- والعبقرية في أجذل أوقاتها. هي واحدة من تلك الأمور التي لا يقوم بها المؤلف إلا مرة واحدة.

John Moncure Daniel

أدى العرض الضيق للأعمدة في الأصل إلى التفاف الأسطر الطويلة إلى سطر ثان، فوضعت مسافة بادئة لإظهار الاستمرارية. لم تتكرر هذه الميزة هنا، مع السماح للأسطر بدلاً من ذلك بالتمدد إلى الطول المناسب. في طباعة السطر ٣، قام ‘مابوت بتغيير فترة النهاية إلى واصلة طويلة، بدون تعليق.

يتفق النص الحالي تمامًا مع التصحيحات التي أجراها ‘بو في نسخته الخاصة من The Raven and Other Poems، مع استثناء واحد. في السطر ٦٧، وضعت علامة على كلمتي «الروح الحزينة» للحذف، ولكن يبدو أن ‘بو وجه كاتب الطباعة لحذف كلمة «الروح» فقط، بحيث تكون العبارة الجديدة «أهواء حزينة» بدلاً من مجرد «أهواء». (تظهر عبارة «أهواء حزينة» لأول مرة كما اقتبست في مقالة ‘بو "فلسفة التكوين"، في مجلة غراهام، نيسان ١٨٤٦).

الغراب

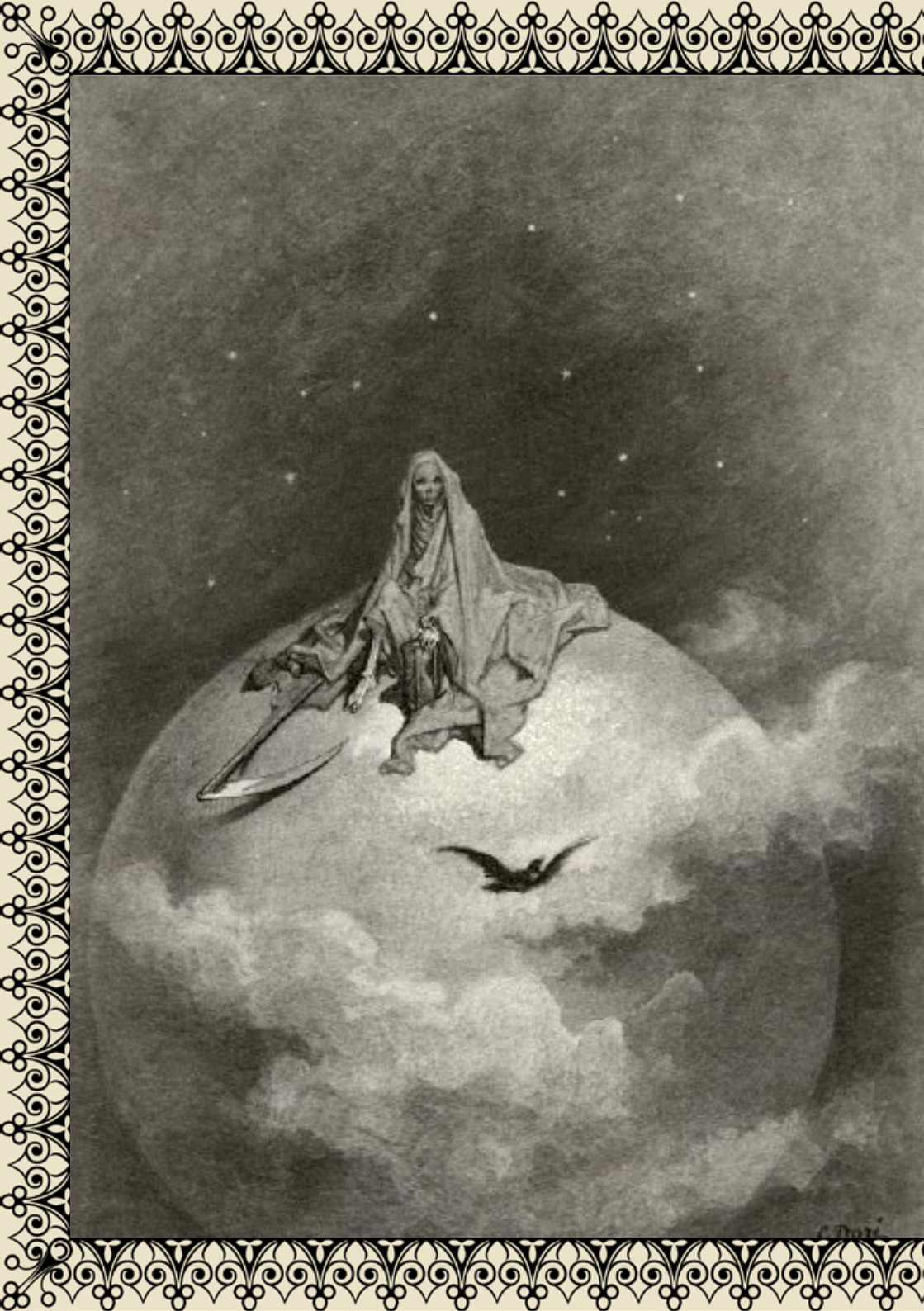

رةً منتصف ليلٍ كدر، بينما تأملت خورًا ضَجِرْ
في مجلدٍ جِدّ غريبٍ وساحر عن علم مندثر—
فيما تمايلت، شبه غافٍ، بغتة أتى صوتُ نقرْ،
وكأن أحدهم بلطف يطرق، يطرق عليَّ باب الدار—
«إنه زائر،» همستُ، «يقرع عليَّ باب الدار—
فقط هذا ولا شيء أكثر.»

آه، بوضوح أتذكر، كان كانون القفر
وقد خط أشباحه على الأرضية كل جمرٍ محتضرْ.
بلهفةٍ تمنيت النهار؛— بحثتُ في كتبي بلا ظفرْ
عن مهربٍ من الأسى— الأسى على المفقودة 'لينور—
على البتول النادرة والمتألقة التي تناديها الملائكة 'لينور—
ولا تُنادى هنا أبد الدهر.

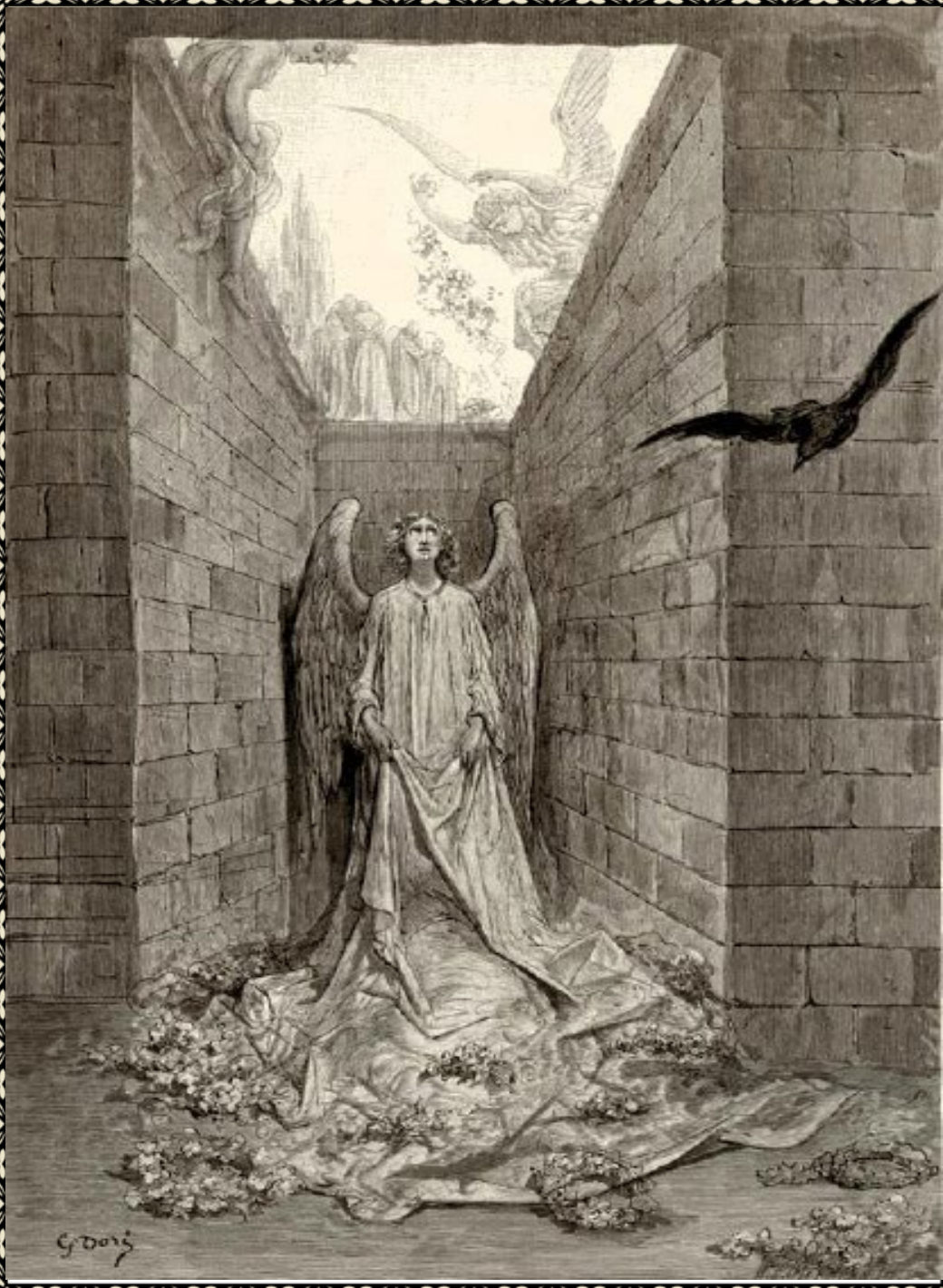
G. Doré

والحفيف الحريري، الحزين، المريب لكل ستارة أرجوانية
أرعدني، ملأني خوفًا جليلاً بمثله، من قبلُ، لم أشعر
لذلك الآن، ولأهدأ من نبض قلبي، وقفت أكررْ
«إنه زائر يستعطف الدخول بباب الدار—
زائرٌ متأخر يستعطف الدخول بباب الدار،—
هذا هو الأمر ولا شيء أكثرْ» .

زادت نفسي للتو بأسًا، ومترددًا لاّ أكثرْ
«سيدي» قلت، «أو سيدتي، بحقّ ألتمس منكم العذر؛
لكني كنت في الواقع غافيًا، فيما جئت بلطف قارعًا
وبخفوتٍ جئت طارقًا، طارقًا عليَّ باب الحجرْ،
فبالكاد تيقنت أني سمعتك»— هنا فتحت الباب على الآخر؛—
فكان الظلام ولا شيء أكثرْ.

في عمق ذاك الظلام حدقتّ، ومطولاً وقفت محتارًا مرتاعًا؛
مرتابًا، متخيلاً خيالاتٍ لا فانَّ من قبلُ على تخيلها جسرْ
لكن السكون لم يعطِ أمارة، والصمت لم ينكسر،
والكلمة الوحيدة التي نُطق بها هي الكلمة المهموسة: «لينور؟»
هذا ما همستُ، وردد صدىً كلمة: «لينور!»
هذا فقط ولا شيء أكثرْ.

عائدًا إلى حجرتي، روحي في داخلي كلها تستعر،
مرة أخرى سمعت طرقًا أعلى قليلاً من ذي قبل
«حتمًا،» قلتُ، «حتمًا ذاك شيءٌ بعريشة شباكي،
لأنظر إذًا ما هناك واستكشف هذا السر—
ليسكن قلبي لحظة ثم استكشف هذا السر؛—
إنها الريح ولا شيء أكثر!»

دفعت هنا النافذة فاغرًا، ومع رنقٍ وخفق وافر
دخل غرابٌ جليل من عصرٍ مقدسٍ غابر
لم يظهر أي إكبارّ. للحظةٍ لم يتوقفً أو ينتظرْ؛
لكن بطلعة سيدً أو سيدة، رفرف فوق باب الدار—
رفرف فوق تمثال بالاسر[1] تمامًا فوق باب الدار—
وجثم، واستراح، ولا شيء أكثرْ.

1 أحد ألقاب أثينا، آلهة الحرب والحكمة

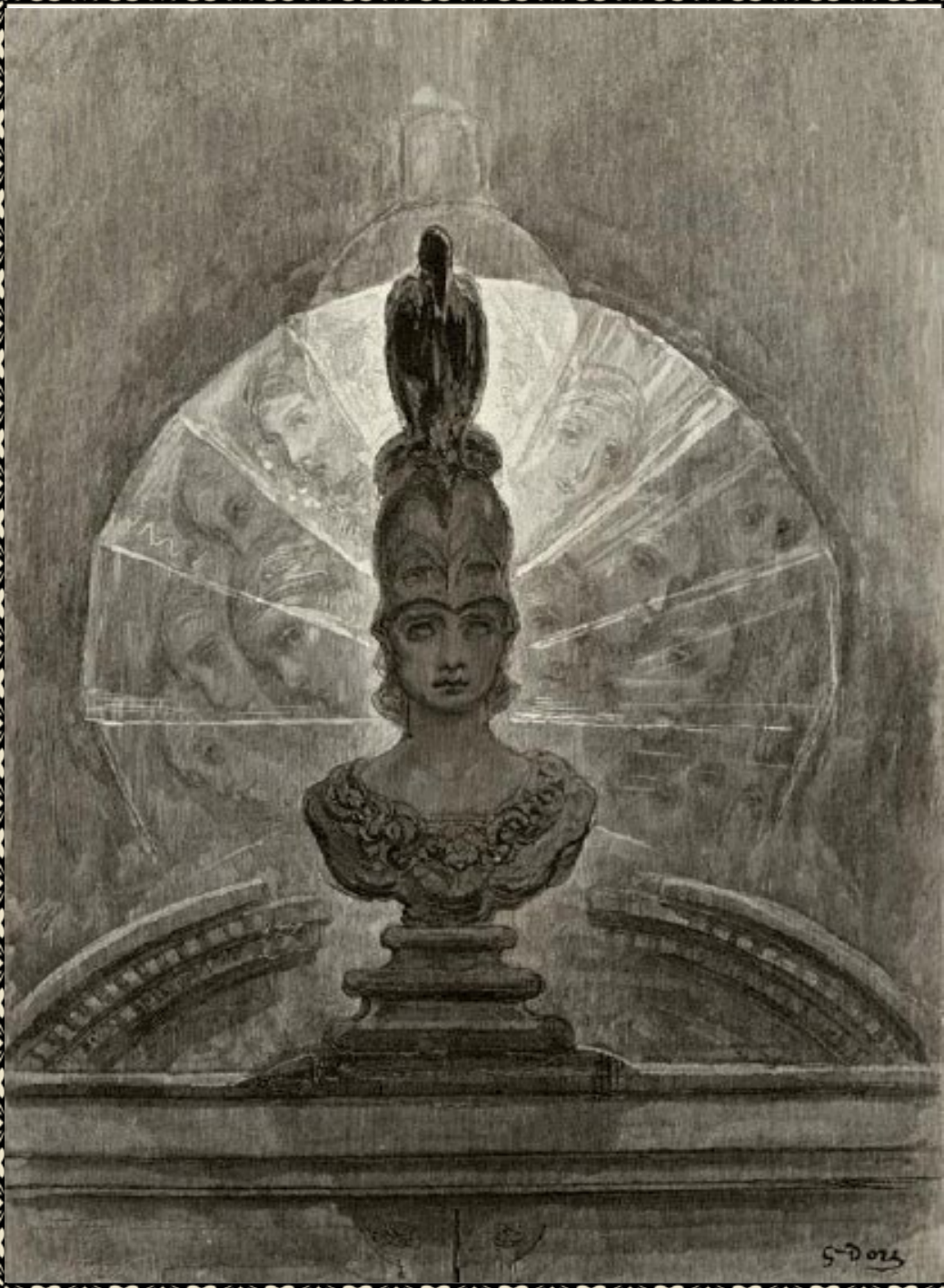

ثم إن هذا الطائر الفاحم خادع أهوائي الحزينة إلى تبسم،
بما توشح من سيماء رزانة وذوقٍ وقرّ،
«رغم أن عرفك قد يحز ويحز» قلت، «لكنك بالتأكيد لست خوّار،
أيها الغراب الغابر الكالح كشبح، عاسًا من شاطئ الليل
أخبرني ما اسم جلالتكم على شاطئ الليل الجحيمي
صرح الغراب «أبدًا لا» .

بشدةٍ أدهشني سماع هذا الطائر الأخرق يتحدث بكل يسرْ،
مع أن جوابه شحًا في المعنى— وشحًا في العلاقة أظهرْ،
لكننا نستطيع أنِ نقرْ؛ أنه لا حيٌّ من البشر
أبدًا، إلى الآن، أنعمَ عليه برؤية طيرٍ فوق باب الدار—
طيرٍ أو بهيمة على التمثال المنحوت فوق باب الدار،
مع اسم مثل «أبدًا لا»

لكن الغراب الجاثم وحيدًا على التمثال الساكن، فقط نطق
بتلك الكلمة المنفردة، وكأنه بتلك الكلمة، روحه خارجًا هَمرْ
وبأبعد من ذاك ما نطقْ— ولا بريشةٍ تاليًا صفقْ
حتى بالكاد تمتمت «قد ولّا لي من قبل أصدقاءُ أُخرْ—
وكما طارت آمالي من قبل، فسيهجرني عند السحرْ».
« أبدًا لا» فاه الطير.

مشدوهًا بالصمت الذي حُطم بردً نُطق بشكل ملائم،
«بلا شك» قلتّ «إن ما ينطقه مجرد ما يذخر ويذكرْ
التقطه من سيدً غير مسرور واتته تباعًا وعلى غررْ
مصائب لا ترحم، حتى بفكرةٍ واحدةٍ، تراتيله أضجرْ
حتى ترانيم أمله بتلك الفكرة المغمة أضجرْ
تلك «أبدًا— أبدًا لا» .

G. Doré

لكنِ الطائر ما فتئ يخادع أهوائي إلى تبسم
حالاً دفعت كرسيًا وثيرًا أمام بابٍ، وتمثالٍ، وطائرْ؛
ثم، غارقًا في المخمل، شرعت أُحكم
خيالاً بخيال، متأملاً هذا الطائر المشؤوم من الزمن الغابر
هذا الطائر الكالح، القبيح، الشبحي، الضامر من الزمن الغابرْ
ما عنى ناعبًا «أبدًا لا.»

في هذا جلست أتحزر، ولكن، عن أي صوتٍ، لا أعبرْ
للطائر الذي اشتعلت عيناه الناريتان الآن مخترقة صدري؛
في هذا والمزيد جلست أتفكر، ورأسي مسترخٍ في سكينة
على بطانة الوسادة المخملية التي اغتبط عليها النور
ولكن البطانة الأرجوانية المخملية التي يغتبط عليها النور،
ولن تستلقي عليها أبدًا !

ثم تراءى لي أن الهواء تكثف، وبخورٍ خفي عُطرْ
يطوف به ملاك لمع موطئ قدميه على الأرضيةٍ ذات الضفائرْ.
«أيها الصعلوك،» صرخت، «ربك قد أقرضك— مع هذه الملائكة أرسلك
اعتزل— اعتزل واشرب سلوان ذكرى 'لينورْ
تجرع، تجرع شراب السلوان الأصيل هذا وانسى هذه المفقودة لينور
«أبدًا لا.» فاه الطير

«أيها الرسول!» قلت، «أو عمل الشر!— رسولٌ مع ذلك،
إن شيطان أو طير!—
سواءٌ أأرسلك إغراء، أو سواءٌ قذفك برًا هنا إعصار،
منبوذ ولكن جسور، على هذه الأرض المقفرة مسحور—
في هذه الدار المسكونة بالرعب— أخبرني بحق، أناشدك—
هل هناك— هل هناك بلسم في جلعاد؟— أخبرني—
أخبرني، أناشدك!»

«أبدًا لا.» فاه الطير

«أيها الرسول» قلت، «أو عمل الشر!— رسول مع ذلك، إن شيطان أو طير!—

بحق السماء التي تنحني فوقنا— بالرب الذي نعبده كلانا—

أخبر هذه الروح المساقة بالأسى، إن كانت عدن البعيدة،

ستحتضن داخلها البتول المرحومة التي تناديها الملائكة ‘لينور—

تحتضن بتولاً نادرة ومتألقة تناديها الملائكة ‘لينور

«أبدًا لا.» فاه الطير

«لتكن تلك علامة فراقنا، أيها الصديق أو الطير» صرختُ قائمًا—

«عد إلى شاطئ الليل الجحيمي وإلى الإعصار
ولا تدع ريش أسود كتذكارٍ على الكذبة التي نطقتها روحك!
دع وحدتي غير مقاطعة!— اعتزل التمثال فوق بابي!»
انزع منسرك من قلبي، وخذ هيئتك بعيدًا عن بابي!»
«أبدًا لا.» فاه الطير

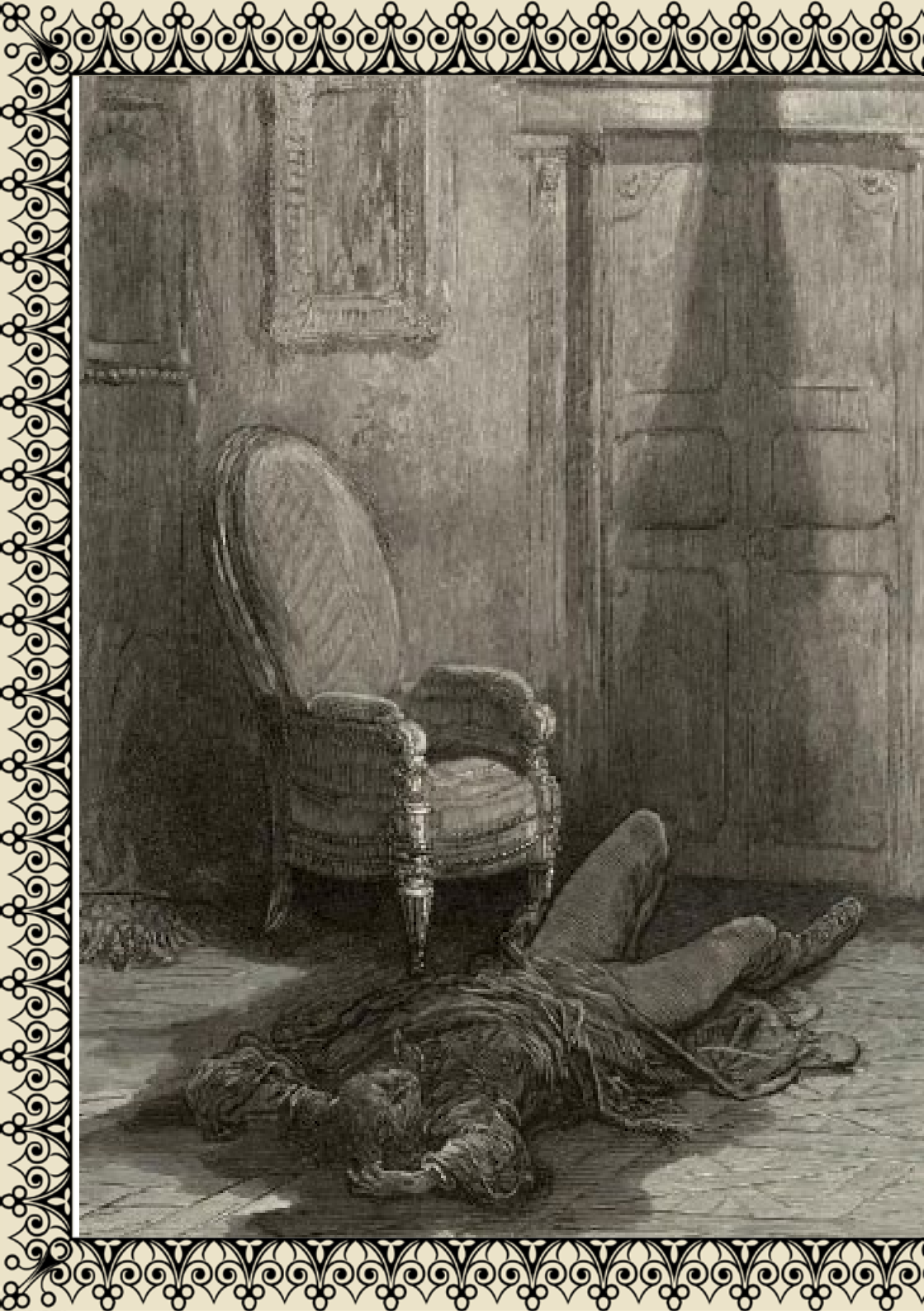

والغراب، أبدًا لا ينصرف، ما يزال جاثمًا، ما يزال جاثمًا
على تمثال بالاس تمامًا فوق باب الدار؛
وفي عينيه كل مظاهر عيني شيطان حالم
ومن فوقه رمى ضوء المصباح ظله على الأرضية؛
وروحي عبر ذاك الظل الذي يمور على الأرضية
لن تُرقى— أبدًا !

النهاية